PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(2): 574-591
ISSN:1553-6939

THE SEPARATION BETWEEN RELIGION AND SCIENCE IN THE MODERN WESTERN COGNITIVE SYSTEM

Tounsi Mohammed

University Amar Telidji-Laghouat (Algeria), Philosophy and Community Development Laboratory, m.tounsi@lagh-univ.dz

Received: 02/2024, Published: 03/2024

Abstract:

The relationship of science to religion in the Western cognitive system is characterized by conflict and separation, this is the result of the sediments formed in the Western mind by the negative practices of the Church against scientists and scientists, What should be noted is that the separation between science and religion imposed by the Western cognitive system is based on false generalizations, There was no conflict between science and religion, but between science and theologians, and the church which they were protected in their Choking against scientific diligence, The Choking that the Europeans suffered in the Middle Ages by the Church cannot be generalized, and that religion in general is an obstacle to scientific diligence, For any consideration that makes the teachings of other religions an obstacle to science, After the European scientific renaissance established in the Western culture that the transformations experienced by the Western society and The choices he has taken to achieve his scientific renaissance enabled him to be an incubator environment for scientific and cognitive creativity, In this Allegation is a justification for the separation between science and religion, As secularizing science by excluding it from all that is related to religion is the right choice, Many have criticized the Western cognitive system because of the imbalances caused by the removal of religion from science and its confirmation on rational and material vision as sources of knowledge,Against this, there is a need to present an alternative vision based on the integration of science and religion.

Keywords: Religion, Science, Church, Conflict, Integration.

الفصل بين الدين والعلم في النظام المعرفي الغربي الحديث

أ.د تونسي محمد

جامعة عمار ثليجي بالأغواط (الجزائر)، مخبر الفلسفة و تنمية المجتمع، m.tounsi@lagh-univ.dz

ملخص:

تتسم علاقة العلم بالدين في النظام المعرفي الغربي بالتعارض والفصام نتيجة الرواسب التي تشكلت في العقل الغربي جراء الممارسات السلبية التي اقترفتها الكنيسة في حق العلم و العلماء ،ما تجدر الإشارة إليه هو أن الفصل بين العلم والدين الذي كرسه النظام المعرفي الغربي مبني على تعميمات مغلوطة ،ففي الواقع لم يكن هناك صراع بين العلم والدين و إنما بين العلم و رجال اللاهوت والمؤسسة الكنسية التي كانوا يحتمون بها في تضييقهم على الاجتهاد العلمي ،كما أن التضييق الذي ذاق مرراته الأوربيون في العصور الوسطى بسبب الكنيسة لا يمكن تعميمه و اعتبار أن الدين بصفة عامة يمثل عائقا أمام الاجتهاد العلمي ،فعلى أي اعتبار يجعلون من تعاليم الديانات الأخرى عائقا أمام العلم ،بعد النهضة العلمية الأوربية ترسخ في الثقافة الغربية أن التحولات التي مر بها المجتمع الغربي والخيارات التي اتخذها لصناعة

نهضته العلمية أهلته ليكون بيئة حاضنة للإبداع العلمي و المعرفي ، و في هذا الادعاء تبرير للفصل بين العلم والدين ،وكأن علمنة العلم بإبعاده عن كل ما له صلة بالدين هو الخيار الأصوب، لقد انتقد كثيرون النظام المعرفي الغربي لما فيه من اختلالات نتجت جراء إبعاد الدين عن العلم و تكريس الرؤية العقلانية والمادية باعتبارهما مصدران وحيدان للمعرفة.أمام هذا تطرح ضرورة تقديم رؤية بديلة تقوم على التكامل بين العلم و الدين.

الكلمات المفتاحية: الدين، العلم، الكنيسة، الصراع، التكامل.

مقدمة:

لطالما ترسخ في النظام المعرفي الغربي الحديث أن الدين يجب أن يبقى بعيدا عن العلم ،و هذا الاستبعاد جاء كردة فعل إزاء ممارسات سلبية ارتسمت في ذاكرة العقل الأوروبي ،حيث كانت الكنسية في العصور الوسطى تفرض تضييقا على حرية الاجتهاد و تضطهد من يخالفها من العلماء ،لكن ما يستوجب التوضيح أن ما كانت تقوم به الكنيسة ليس مبررا للعداء بين العلم و الدين خاصة إذا علمنا أن الصراع الذي كان في العصور الوسطى كان بين رجال اللاهوت و العلم ،هؤلاء الذين فرضوا فهما أحاديا للنص الديني و أضافوا من التعاليم التي تخدم سطوتهم،بهذه الصورة ليس هناك مبرر للغرب أن يعمموا العداء بين العلم و الدين انطلاقا من تجربة خاصة مرت بها أوربا، إن النظام المعرفي الغربي الحديث الذي يستبعد الدين يعاني من اختلالات عديدة، وهذا يستدعي إعادة النظر في علاقة العلم بالدين ، فالعلم معرفة وضعية يجتهد الإنسان من خلالها لفهم الوجود المادي ويخضعه للملاحظة والتجربة لاستكشافه، أما الدين فهو معرفة مصدرها الوحي و موضوعها العقائد و الشرائع والأخلاق ،يرى البعض أنه انطلاقا من هذا التمايز يمكن أن يشكل كل من العلم الدين تكاملا وهذا يتطلب وجود نظام معرفي يأخذ الجانب الديني بعين الاعتبار ،سنحاول في هذا المقال معالجة هذا الموضوع من خلال طرح التساؤلات التالية:ما هي خلفيات و مبررات فصل العلم عن الدين في النظام المعرفي الغربي؟ و ما هي الاختلالات الناجمة عن هذا الفصل ؟ و كيف يمكن تدارك هذه الاختلالات من خلال إعادة النظر في علاقة العلم بالدين ؟

1- تضييق رجال اللاهوت على الاجتهاد العلمي في القرون الوسطى:

ارتبطت فترة العصور الوسطى في العقل الأوروبي بممارسات رجال الكنيسة إزاء العلم و العلماء و لذا سميت بعصور الظلام،فقد شهدت هذه الحقبة تضييق الخناق على حرية الاجتهاد حيث كان يضطهد كل من يقدم اجتهادا يخالف أراء الكنيسة،وكانت توصف اجتهادات هؤلاء المخالفين بالهرطقة حيث كانوا يرون فيها تمردا و خروجا عن النصوص المقدسة أو أقوال رجال اللاهوت ،تسربت الخرافات الوثنية والإضافات البشرية إلى كثير من تعاليم المسيحية، و جعلت الكنيسة من هذا الخليط

عقائد إلهية تدخل في صلب الدين و اعتبرت معارضتها كفراً بالوحي والدين،لقد مارست الكنيسة طغيانا فكريا فقد كان لرجال الدين إصرارا أعمى للتشبث بما يسنونه من تعاليم ، و كانوا يضطهدون كل من يخالفهم أو يقدم ما يصحح تفسيراتهم ،لقد كانت محاكم التفتيش الذراع الذي تبطش به الكنيسة بكل من يخالفها و قد اضطهدت و أعدمت عبر قرون الآلاف من العلماء و المفكرين ، لقد كانت السلطة الكنسية تجعل من « فكرة المعصومية عن الخطأ تهيمن على قراراتها ،بما يكفي من الحزم لكي تعزز سلطتها و لكن بما يكفي من غياب الدقة بغية السماح بانسحاب محتمل ،و تنصب نفسها بصفتها مدافعة عن التقليد ،و بمثابة السلطة المفسرة الوحيدة المأذون لها من قبل المشيئة الإلهية ،و السلطة الوحيدة ذات الكفاءة لتحديد التخوم ما بين الممارسات "الطبيعية التي يريدها الله" و الممارسات "الاصطناعية" المعارضة لمشيئته »[1].

ارتبط النظام التعليمي في العصور الوسطى بالتعاليم المسيحية و ما أقرته الكنيسة من برامج تتوافق حسبها مع ما جاء في الكتاب المقدس ،حيث كانت الجامعات و التعليم تحت إشراف الكنيسة و كانت تقدم دروس ممزوجة بالتعاليم المسيحية واللاهوت،و كانت العلوم العقلية هي جل ما يقدم في الدروس مثل الفلسفة والمنطق والأدب اللاتيني المتمثل في النحو والبلاغة ،إن « الصوت الكنسي الرسمي قد أعلن دوما الوفاق العميق ما بين الإيمان و العقل ،و منح دعم الكنيسة للعلم "الصحيح"، العلم الذي يعزز العقائد .ففي نظر الكنيسة العلم مجد دونما شك، لكن علم اللاهوت يبقى متفوقا عليه و على كر القرون ظل علماء اللاهوت وحدهم أسياد المعرفة محددين من حيث الدين و حسب ما هي الافتراضات العلمية المقبولة لديهم وما هي المنبوذة منها »[2]. كانت اللغة اللاتينية هي لغة التعليم المستعملة في الكاتدرائيات و الجامعات ،وكان القس الذي يتخرج من الجامعة يتعامل بلغة تختلف عن لغة الشارع حيث توجد لهجات محلية بعيدة عن لغة المعرفة ،وقد نجم عن هذا أن التعليم والمعرفة كانا معزولان عن المجتمع حيث كان العامة من الناس من غير المتعلمين مجرد متلقين لتعاليم رجال اللاهوت دون أن يخوضوا في قضايا معرفية، لقد كرس رجال اللاهوت نظرة محتقرة للدنيا وما فيها من متاع ،فهي مرحلة زائلة و لا تستحق اهتماما زائدا، وكانت التعاليم الكنسية تدعوا إلى الزهد والعزوف عن متاع الدنيا وترغبه في التعلق بالحياة الآخرة ،لقد علقت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه عما كان سائدا من تنفير عن الدنيا وإبعاد الإنسان عن الاهتمام بها والبحث في الطبيعة ،حيث رأت أن الكنيسة اعتبرت الاهتمام بالطبيعة والبحث فيها« لونا من الشيطنة المخططة لهذا العالم الدنيوي الذي فسد وفاحت رائحته كالجيفة النتنة،و

[1]–مينوا ،جورج ،الكنيسة و العلم : تاريخ الصراع بين العقل الديني و العقل العلمي ،ترجمة موريس جلال،الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 2005، ص13-14

[2]–المرجع نفسه،ص14

خاصة إذا ما اتجه البحث إلى الطبيعة بدلا من الاتجاه إلى الكتاب المقدس وإلى رواد الكنيسة »[3]،لقد أدت هذه الذهنية إلى قتل فضول الإنسان و حبه للبحث في الطبيعة و اكتشاف أسرارها.

لقد كان رجال اللاهوت حريصين على نوعية البرامج التعليمية المقدمة في الجامعات و المدارس حيث يجب أن تتماشى والتعاليم الكنسية ، و قد أثارت بعض الجامعات لغطا في القرن الثاني عشر حيث حاولت التحرر من البرامج التعليمية التقليدية وسطرت برامج مختلفة عما كان سائدا، وكانت هذه البرامج تشجع على النظر العقلي دون الاعتماد على تعاليم الدين في فهمهم للمشكلات المعرفية،وقد أثار هذا قلق رجال اللاهوت، وسارعوا إلى احتواء الوضع وقاموا بسن قواعد للتعليم من شأنها أن توقف التمرد في المناهج ،و تشترط هذه القواعد أن يتوافق أي اجتهاد مع الكتاب المقدس ورجال الكنيسة والفلسفة الأرسطية ،تنص هذه القواعد على الآتي:[4]

1-كل ما جاء في الكتاب المقدس وأقوال رجال الكنيسة فهو حق .

2-كل مما قال به أرسطو مما لا يناقض ذلك فهو حق .

3-كل مما أفض إليه العلم مما لا يناقض هذا وذلك فهو حق.

هذه التعاليم تكرس فكرة أن المعتقدات الموجودة في الكتاب المقدس كفيلة أن تجيب على أي شيء، و هي أصدق من كل ما يمكن أن يصل إليه العقل،«كان أعظم مفكر عقلاني في العصور الوسطى ،المطلع على أكمل معرفة علمية لعصره يحذر الأجيال المعاصرة له و الأجيال التالية ألا يبالغوا في تقدير سلطة التفكير العقلاني ،بل أن يقروا بالمدى الأرقى للحدس الغيبي والإيمان الخالص باعتبارهما طرقا تؤدي إلى الفهم»[5]. لقد كان رجال الدين مصرين على تفاسير معينة لآيات الكتاب المقدس ولا يقبلون غير ذلك كما أنهم لا يسعون إلى مراجعة تفسيراتهم إذا تضاربت مع اجتهادات معينة تبين وجه الصدق فيها، بل يرفضون هذه الاجتهادات و يتمسكون تمسكا أعمى بفهمهم الخاص للآيات«أن اللاهوتيين ومن ورائهم الكنيسة—وعلى رأسها البابوات المعصومون عن الخطأ—كانت قد زكت المذاهب اللاهوتية التي ذاعت في تفسير الإنجيل والتوراة بإجازتها حينا بعد حين، فأصبحت تلك التفاسير في الواقع مقدسة كأصل المتون نفسها، لهذا كانت ثورة اللاهوت في القرون الوسطى حامية ونارها محرقة.»[6].لقد بلغت الخصومة بين العلم واللاهوت من الشدة ما بلغت في القرون الوسطى،ولعل المستقرئ لتاريخ الأديان كلها لن يعثر على ما يشابه ذلك الاضطهاد والتضييق الذي مارسه اللاهوت النصراني في حق العلم والعلماء لقرون متعاقبة، حيث أن

[3]- هونكه،زيغريد ،العقيدة و العلم :وحدة الدين الأوروبي و علم الطبيعة ،ترجمة:محمد أبو حطب خالد ،المجلس الأعلى للثقافة ،مصر،ط2007،01،ص210

[4]- سعيدان ،محمود ،تاريخ أوربا في العصور الوسطى،دار النهضة العربية ،بيروت لبنان،ط2006،1،ص64

[5]- جولدشتاين،توماس ، المقدمات التاريخية للعلم الحديث ،ترجمة :أحمد حسان عبد الواحد ،الهيئة المصرية للكتاب ،مصر ،2004،ص254

[6]-ديسكونن وايت،أندرو ،بين الدين و العلم ،تاريخ الصرع بينهما في العصور الوسطى ،ترجمة :إسماعيل مظهر ،مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ،مصر ،2012،ص19

اللاهوتيين كانوا مصممين على فكرة أن العلم لا يجب مطلقا أن يتوصل إلي شيء فيه أقل مخالفة لما جاء به الكتاب المقدس و ما قاله الباباوات.

2- صور من صراع العلم واللاهوت في القرون الوسطى:

كانت فكرة مركزية الأرض بمثابة الخط الأحمر الذي لا يجوز لأي اجتهاد في علم الفلك أن يتجاوزه، لأن هذه الفكرة حسبهم تتوافق مع ما جاء في الكتاب المقدس و كل تجاوز لهذه الفكرة هو تمرد على ما جاء في الكتاب المقدس الذي يمثل الحقيقة الخالدة ،لقد كانت فكرة مركزية تخدم عدة اعتبارات حيث كانت تشير إلى مركزية الإنسان كأفضل المخلوقات ومركزية الكنيسة بالنسبة لشؤون الأرض و الحياة ،حيث أن الكنيسة كانت تمثل سلطة مركزية للعلم و الحياة وحتى أنها الوسيط المركزي الأرضي بالنسبة لعالم السماء ،فالكل يجب أن يعمل وفق تعاليم الكنيسة و من خلالها يعمل لخدمة الإله ،فوجود الإنسان في العالم الأرضي هو نتاج الخطيئة الأولى و خلاصه يتمثل في أن يعود إلى ربه بإتباع تعاليم الكنيسة . لما نشر كتاب كوبرنيك "دوران الأفلاك السماوية " الذي ألغى نظرية مركزية الأرض و قال بمركزية الشمس لقي معارضة شديدة من قبل رجال اللاهوت وطالته انتقادات شديدة ،و كان ممن عارضوه بشدة المصلح الديني مارتن لوثر ،حيث قال عن كوبرنيك :« هذا المتهور الأحمق الذي يريد قلب أسس الفلك بأكملها ...وقد أمر يشوع الشمس – لا الأرض – بأن تبقى ساكنة »[7]،يقال أن كوبرنيك لشدة خوفه من بطش رجال اللاهوت طلب أن ينشر كتابه بعد وفاته و هذا ما حدث بالفعل و ألحقت مقدمة بالكتاب تسفه ما ورد فيه من أراء مقابل مع ما جاء في الكتاب المقدس، لقد علق فيليب فرانك عن نظرية كوبرنيك لما ظهرت حيث رأى أنها بدت تناقض ما استقر في نفوس الناس ، ففكرة دوران الأرض كانت تتناقض مع الاحساس الساذج للانسان اضافة لكونها أيضا تتناقض مع ما يشير اليه الكتاب المقدس ،ولهذا قوبلت هذه النظرية بمعارضة شديدة ،يقول فرانك: « فقد كان من الوقائع المرئية أيضا أن النظام الكوبرنيكي يناقض عادات التفكير الفطري السليم ،فقد كان يفرز مشاكل سيكولوجية ،وكانت هذه الوقائع مرئية لا سبيل الى انكارها ،و من ناحية أخرى لم يقتصر قبول العلوم الحديثة لمبادئها على أساس الوقائع الفيزيائية التي يمكن استنباطها من هذه المبادئ و رؤيتها بحواسنا ،و من المؤكد أن النظام الكوبرنيكي لم يكن ليقبل قط قبل أن يفقد الايمان بحرفية تفسير الكتب المقدسة سلطانه »[8]، لما نشر كتاب كوبرنيك قررت الكنيسة تحريمه ومنعت تداوله ، و قد حاول عالم إيطالي يدعى جردانو برونو بعث فكرة مركزية الشمس و الدفاع عنها فاتهمته الكنيسة بالكفر وقامت بإعدامه حرقا سنة 1600.

[7]- نقلا عن :ميموني، جمال ، قسوم نضال ، قصة الكون الجزائر ،دار المعرفة ،1998،ص 101

[8]- فرانك، فليب ، فلسفة العلم، ترجمة: علي ناصف ،بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 1983،ص364

كذلك من صور الصراع بين رجال اللاهوت والعلم نذكر ما حدث مع الفيزيائي وعالم الفلك الايطالي غاليلي الذي تحدى الكنيسة بقوله أن الأرض تدور حول الشمس وأنها ليست مركز للحركة ، ورأى أنه يتوجب على كل معارض لفكرته أن يأتي بالدليل على بطلان فكرته بدل اللجوء إلى النصوص المقدسة ،و قد أثار هذا حفيظة رجال الكنيسة وتم إصدار أوامر بمراقبة كل ما ينشره غاليلي و أجبر على التعهد بعدم ذكر أن الشمس هي مركز العالم و أنها لا تتحرك ، والتراجع عن القول أن الأرض ليست مركز الكون، و رغم منع غاليلي من نشر أفكاره و إجباره على التراجع عنها إلا أنه ظل متشبثا بها ،وقد أرسل برسالة إلى الدوقة كريستينا عام 1614 قال فيها :«أؤمن بأن الشمس تحتل المركز وسط الأجرام السماوية التي تدور في أفلاكها و لا تغير مكانها ،و أؤمن كذلك بأن كوكب الأرض يدور حول نفسه و يتحرك في مداره حول الشمس »[9] ،وأضاف غاليلي حول تعارض هذا الكلام مع الكتاب المقدس :"عندما يثار خلاف في الرأي بشأن ظواهر طبيعية ،يتعين علينا حينئذ ألا نبدأ بمراجعة النص المكتوب ،بل بمرجعية التجربة الحسية و البراهين الضرورية التي تثبت صحة ذلك »[10]، بعد انتشار أفكار غاليلي صودر كتابه و استدعي للمحاكمة من طرف هيئة محاكم التفتيش عام 1633 ،وقد اتهم بمناصرة أفكار كوبرنيك المعادية لعقيدة الكنسية و عدم وفائه بما تعهد بالامتناع عن تدريسه، و قد حكم عليه بالسجن المؤبد لكنه ظل في إقامة جبرية وأجبر على التراجع عن أقواله في وثيقة أرسلت إلى الجامعات، وقد ظلت أعمال جاليليو لفترة طويلة مدرجة ضمن الكتب التي تعرض أرواح قرائها إلى العذاب والعقاب.

في العصور الوسطى كان ينظر إلى الأمراض على أنها من فعل الشياطين،حيث أن حلول الأرواح الشريرة بالجسد هو الذي يسبب المرض ،و على المريض أن يعالج عند رجال الدين لأنهم الأقدر على تخليصه من هذه العلل، وقد أمر البابا "بيوس" الخامس أن يدعى الأطباء بأطباء الروح. لأن الأمراض تأتى من الأرواح الشريرة و لطردها يجب الاستعانة برجال اللاهوت ، وقد كان ينظر إلى الأوبئة مثل الجدري والكوليرا على أنها عقاب من الإله،لذلك كانت محاولات إيجاد لقاح والتطعيم ضد بعض هذه الأوبئة مرفوضة من قبل رجال الكنيسة،و قد احرق منزل الدكتور "بولستون" عندما أقام مركزا لتطعيم الناس ضد مرض الجدري .كذلك من صور الصراع بين رجال اللاهوت والعلم ما حدث في أوروبا العصور الوسطى لما انتشرت أنباء في بعض المناطق تشير إلى احمرار مياه الأنهار، وقد فسر البعض هذا بأن الماء قد تحول إلى دماء، وسارع رجال اللاهوت بالإعلان أن السبب يرجع إلى غضب الآلهة،وعندما قام عالم بيولوجيا يدعى "لينيوس"بفحص عينة من المياه وجد أن احمرار المياه يرجع إلى وجود حشرات دقيقة لونها أحمر ،لكن سرعان ما انزعج رجال اللاهوت من هذا التفسير و أصروا على اعتبار أن ظاهرة المياه الحمراء هي ظاهرة غير طبيعية، وقد أعلن الأسقف أن «أن الله عندما يسمح بحدوث مثل هذه المعجزة يحاول الشيطان متخذًا من أعوانه البعيدين عن الله

[9]– نقلا عن :جريبين، جون ، تاريخ العلم ،ترجمة :جلال شوقي ،سلسلة عالم المعرفة ،الكويت ،ج 1 ،2012،ص 130

[10]–نقلا عن المرجع نفسه ،ص130

المعتمدين على أنفسهم، المكتفين بقواهم العقلية، وسائل تظهر معها المعجزة كأنها لاشيء»[11] ، وأجبر"لينيوس" على التراجع عن تقريره العلمي، وأمروه بتقديم تقرير آخر يقول فيه بأن تفسير هذه الظاهرة يتطلب أعلى من مستواه العلمي.لقد حاول رجال اللاهوت قتل كل المبادرات الرامية للاستقلال بالبحث الطبيعي بعيدا عن التعاليم اللاهوتية المفروضة، ففي باريس حرم البرلمان الفرنسي –بإصرار من رجال اللاهوت–البحوث الكيميائية وكان هذا ضد شباب هواة اشتغلوا بالتجارب الكيميائية، وفي إيطاليا أغلقت الكنيسة أكاديمية البحث الطبيعي التي أنشأت في نابولي عام1560 ، كذلك كان في بريطانيا صراع امتد حتى القرن الثامن عشر بين الكنيسة البروتستانتية و الجمعية الملكية للعلوم خاصة حول علم الفلك.

في أواخر العصور الوسطى كانت الجامعات مسرحا لبعض الإرهاصات و محاولات التحرر من القيود المفروضة على الاجتهاد، لقد كانت تمثل بؤر صراع بين تعاليم قديمة وأفكار متحررة جديدة ، وقد ناد علماء بأهمية التجريب وإعمال العقل لفهم الطبيعة بعدما عرفوا أهميته في تطور العلم الإسلامي ، فعلى سبيل المثال نجد روجر بيكون الذي درس مؤلفات ابن الهيثم يركز على أهمية الدراسة التجريبية للطبيعة،كذلك كان جيرارد الكريموني يلقي محاضرات تبشر بطريقة جديدة للبحث في الطبيعة وهو الذي ترجم العشرات من كتب المسلمين ،أو جون بيكهام الذي هاجم التنظير اللاهوتي وقام بتأليف رسالة في المناظر واعتمد على كتب الحسن بن الهيثم ،نذكر كذلك اديلارد الباثي الذي رفض تعاليم الكنيسة المقولبة بالتفكير اليوناني والمسيحي ومصادرتها للعقل كونه الميزان الأوثق للحكم على الأشياء والذي قال أنه تعلم هذا من أستاذه العربي ويحذر من الخضوع لهذه السلطة العقلية حيث يقول:«هل من أحد غيري تعلم على يد المعلمين العرب سلوك درب العقل فعليك من جهتك ألا تعميك عماية السلطة إذ لو فعلت فكأنك قد ربطت برسن ... تعلمت من أستاذي العربي أن أزن الأشياء بميزان العقل ...فإذا أردت أن تناقشني فناقشني بالعقل وحده. »[12]

3– النظام المعرفي الغربي الحديث واستبعاده للدين:

نتيجة لنظرة الإنسان الغربي للممارسات الكنيسة في العصور الوسطى و نتيجة للرواسب السلبية التي طبعتها تلك الفترة المظلمة نتج نوع من الفصام بين العلم و الدين في النموذج المعرفي الغربي الحديث ،ونشأ نوع من التفكير يكرس لفكرة "تطهير" العلم من الدين ،و كأن عجلة العلم ستتقدم بمعزل عن أي صلة بالدين ،لقد كان ينظر إلى العلم على أنه «أنقى تعبيرٍ عن العقل البشري وتكمن ُوظيفتُه في إبعاد الخرافات والإيمان الأعمى عن الفرد .يُمثل هذا الاعتقاد تراثَ عصر التنوير الذي شهده القرن الثامن

[11]- ديسكون وايت ،أندرو ،بين الدين و العلم ،تاريخ الصرع بينهما في العصور الوسطى،ص175

[12]– يوسفي، محمد،سوسيولوجيا العلم والتكنولوجيا، دار وائل للنشر، عمان ،الأردن،ط1،2000،ص115-116

عشر، والذي يتجه إلى رؤية العالَم كآلية مادية مستقلّة والعقل البشري كمفتاح لفهم طريقة عمل هذه الآلية. كانت تُعتبر أيّ إشارة إلى الله أمرا فائضا عن الحاجة في أفضل الأحوال وهبوطاً إلى اللاعقلانية في أسوأها.»[13]

لقد كان للدور المحوري السلبي للكنيسة مساهمة في تشكيل الوعي الغربي الحديث ،فالكثير من القناعات هي عبارة عن ردة فعل إزاء ممارسات الكنيسة في القرون الوسطى ،وقد حدثت تحول في الوعي الغربي مع بداية إرساء نظام معرفي جديد استند إلى شرعية العقل ،و كانت فلسفة ديكارت بمثابة نقل لسلطة التفكير من حضن الكنيسة و وضعها تحت وصاية العقل الإنساني ،فالعقل أعدل قسمة بين الناس ومثلما يستطيع القس أن يفكر فإنه بإمكان الآخرين أن يفكروا ويصلوا بعقولهم إلى الحقائق دون توجيه من الكنيسة، لقد استند النظام المعرفي الغربي إلى أن العالم الطبيعي هو العالم الحقيقي واعتبر أن الإنسان هو أهم الكائنات في الطبيعة والعقل هو الوسيلة المناسبة لفهم الطبيعة باعتبار أن العقل والطبيعة على علاقة مباشرة ،إن «علمنة المعرفة تعتبر إعلانا عن سيادة العقل كمصدر أساسي للمعرفة في مقابل المصادر الأخرى ،لا سيما مقابل الوحي ضمن سياق تحديد الحقيقة...إن السمة الانفصالية التي تسم التحدي القائم بين العقل و الوحي هي سمة مميزة للموروث الفكري الغربي، وهي مغامرة بدأت من فكرة عبثية أو لاعقلانية الوحي.»[14]

كذلك شكل الاهتمام بالعالم المادي و فهمه عن طريق المنهج التجريبي دعامة هامة في النهضة العلمية الأوروبية،و أصبحت الطبيعة موضع بحث الإنسان لاكتشاف قوانينها و تسخيرها لفائدته،لقد حدث تحول كبير حيث توجه تفكير الإنسان من الاهتمام بالسماء إلى الاهتمام بالأرض،،«لقد أقام النظام المعرفي الغربي بنيانه على ثنائية الطبيعة و الإنسان ،وعلى العقل والحواس كمصادر وحيدة للمعرفة ،وكان الإنسان هو محور الوجود و المعرفة و الحضارة ،ثم أن العلمانية أو فصل الله عن الوجود ،والدين عن الحياة هي الطابع العام المميز للنظام المعرفي ،و تم تجريد الطبيعة و الإنسان من كل إحالة دينية أو روحية أو ميتافيزيقية أو قيمية »[15] ، لقد أعادت فلسفة فرانسيس بيكون التجريبية النظر في مفهوم الحقيقة بمعناها القديم حيث لم تعد توجد خارج هذا العالم، ولم يعد يتوصل إليها بالحدس والإلهام أو بنوع من التجريد العقلي، بل هي كامنة في الطبيعة وما على الإنسان إلا البحث عنها واكتشافها،لقد رأى الكثير من العلماء والفلاسفة الغربيين أن التجريب والتصورات المادية هما السبيل لفهم العالم الطبيعي، ومن دونها يبقى العلم فارغا من أي محتوى مادي،لقد اعتبر دفيد هيوم أن الأفكار المستمدة من الخبرة الحسية هي الجديرة بالاهتمام أما عدا ذلك من التصورات الميتافيزيقية المجردة فهي جديرة بالحرق ، لقد تم إقصاء كل ما له علاقة بالغيب أو ما وراء الطبيعة من دائرة

[13]–تريغ ،روجر ،هل يحتاج العلم إلى دين ، مجلة الاستغراب،المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية ،بيروت،العدد 2018،13،ص178

[14]– مجموعة من المؤلفين ،نحو نظام معرفي إسلامي ، تحرير:فتحي حسن ملكاوي ،حلقة دراسية بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي،فرع الأردن ، ،الأردن،2000،ص115-116

[15]بوالشعير، عبد العزيز ،النظام المعرفي في المفكرين الإسلامي و الغربي ،منتدى المعارف،بيروت،ط1،2014،ص373-374

العلم ،وظهرت فلسفات تعادي كل توافق بين الدين و العلم . وفي القرن التاسع عشر ظهر الاتجاه الوضعي الذي زاد من تعميق الهوة بين العلم والدين أو الأفكار الميتافيزيقية عموما،لقد رأى الوضعيون أن العلم يهتم بالمحسوس والمادي ولا يمكن أن يشتمل على مالا يقع تحت الحواس ولا يمكن اختباره بالتجربة،لقد دعا الوضعيون لضرورة تطهير العلم من أي أفكار ميتافيزيقية لأن هذه الأفكار حسبهم تضر بالعلم وتعرقل تقدمه بالإضافة لكونها لا فائدة منها .

وفي بدايات القرن العشرينظهرت الوضعية المنطقية والتي اهتمت بالتحليل على حساب المعاني الكلية ، وقد أمعن الوضعيون المناطقة في رفض الأفكار الميتافيزيقية و اجتهدوا في توضيح عدم قيمتها ،لأنها حسب رأيهم قضايا فارغة من المعنى ولا سبيل للتأكد من صدقها ، لقد شكل الوضعيون المناطقة ميثاقا عرف بميثاق جماعة فينّا وكان من أهدافه تنقية العلم من شوائب الميتافيزيقا والقضايا الفارغة، ولتحقيق هذا الهدف لا بد من استخدام طريقة جديدة في تحليل القضايا من الناحيتين الشكلية والدلالية بتطبيق طريقة التحليل المنطقي للغة، والعمل على إثبات بطلان الميتافيزيقا .استندت جماعة فيينا في رفضها للميتافيزيقا على مبدأ التحقق الذي ساهم في صياغيته كل من فيدغينشتاين وشليك ،وقد قرروا أن القضايا العلمية اما أن تكون قضايا تحليلية مثل قضايا العلوم الصورية كالمنطق والرياضيات حيث يكون معيار الصدق اتساق الفكر مع نفسه ،واما قضايا تركيبية مثل قضايا العلوم التجريبية ويكون معيار الصدق فيها اتساقها مع الواقع، أما غير ذلك من العبارات الميتافيزيقيةفهي ليست ذات معنى لأنها خارج هذين النوعين،كما أنه ليس هناك أي سبيل لاثبات صدقها من عدمه، وبناء على هذا فالقضايا الميتافيزيقية هي قضايا فارغة و غير ذات معنى و لا تستحق الاهتمام ، يقول كارناب في حديثه عن الأفكار الميتافيزيقية بأنها «مجرد أفكار وهمية يجب رفضها بناء على وجهة النظر المعرفية وبناء على وجهة النظر العلمية أيضا ،ويجب علينا ألا نهتم بمدى القيمة الكبرى التي يضفيها التراث القديم على هذه الأفكار الميتافيزيقية ،كما لا نهتم بمدى ارتباطها بمشاعر الإنسان، لأنها مجرد كلمات خالية من المعنى »[16].

لقد كرس الفكر الغربي بعد نهضته العلمية فكرة أن العلم هو صناعة غربية حصرا ،هذه الرؤية الإيديولوجية تدعى أن التحولات التي مر بها المجتمع الغربي والخيارات التي اتخذها لصناعة نهضته العلمية أهلته ليكون بيئة حاضنة للإبداع العلمي والمعرفي ، وفي هذا الادعاء تبرير إضافي للفصل المزعوم بين العلم والدين وكأن السير على نهج الغرب والعمل على علمنة العلم بفصله عن كل ما له صلة بالدين هو النهج الأصلح ، لقد تصورت فلسفة أوغست كونت الوضعية أن المرحلة اللاهوتية هي مرحلة تجاوزها التفكير البشري، حيث أن تفكير الإنسان مر بالمرحلة اللاهوتية ثم المرحلة الميتافيزيقية ليصل إلى مرحلة النضج ويصبح ينظر للظواهر من وجهة نظر مادية وضعية، لقد صور كونت تطور المعرفة وفق النظام المعرفي الغربي وكأنها بمثابة مرحلة الكمال في تطور التفكير

[16]–نقلا عن كتاب :حسين علي،الأسس الميتافيزيقية للعلم ،دار أنباء للطباعة و النشر ،القاهرة ،2003،ص65

البشري،وكل القيم التي يحملها هذا النظام بما فيها الفصل بين العلم والدين هي التي أوصلته حتى يمثل عصارة العقل الإنساني كنظام لإنتاج العلوم والمعارف.«و لأن العلم لعب ذلك الدور الطليعي خلال التحرر من السمات القمعية للميراث الوسيط فإنه أصبح فعليا يشكل المصفوفة الإيديولوجية للعقل الحديث...،كان العلم هو الذي رفع لأول مرة صوته ضد المحرمات الترنسندنتالية الكبرى "السحر و السلطة و الإيمان" ...وكان للتشديد الصارم على المقاربة العقلانية و التجريبية – في مقابل المقاربة الحدسية أو الغيبية السائدة –تأثير حاسم على تشكيل المنهج العلمي الحديث وكذلك على القيم العامة التي تشكل حولها التوجه الحديث.»[17]

إن التوجه العام للبحث العلمي يستبعد تماما أي شيء له علاقة بالدين انطلاقا من قاعدة الاختلاف الجوهري بين العلم والدين و النأي بالعلم عن أي تبريرات تخرج عن نطاقه ،يقول أستاذ الفلسفة في جامعة وارويك البريطانية "روجر تريغ" في هذا الشأن: « ينجذبُ إلى صورة الانفصال التام بين العلم والدين أولئك الذين يودون إيقاف الدين عن التدخل بالعلم ولكنهم يحترمون حريّة عمله في ميدانه الخاص به، بهذه الطريقة يتحرّر العلم من الادّعاءات المتسلطة التي تصدر عن أيٍ تسلسل هرمي كنسي أو تفسير للإنجيل، ويبقى المنطق العلمي نائياً عن جميع الاعتبارات اللاهوتية ويسلَم من الحاجة للخوض في مجابهات فوضوية مع الإيمان الديني .وعليه يمكن أن يذهب كل من العلم والدين في طريقه الخاص .يتطابق هذا الأمر مع المحاولات الراهنة التي لا ترمي فقط للفصل بين الكنسية والدولة بل أيضاً لجعل الدين مسألة شخصية وخاصة وبعيدةً عن الدور الاجتماعي العام الذي يلعبه العلم.»[18]

لقد رأت "هيلين دي كروز" أستاذة الفلسفة في جامعة أكسفورد أن الغالبية العظمى من العلماء الغرب اليوم متشبعين بقناعة الفصل التام بين العلم والدين ، وقد ناقشت في مقالة لها علاقة الدين بالعلم ،وحاولت ربط الاعتقاد بانسجام الدين والعلم بمستوى تدين العلماء ،باعتبار أن هناك علاقة بين استناد العالم إلى تبريرات دينية و مستوى تدينه ، لقد رأت "دي كروز" أن نسبة تدين العلماء المعاصرين تقل بكثير عن نسبة تدين الناس بشكل عام ، وقد تكلمت في مقالها عن دراسة أجريت على أعضاء الأكاديمية الوطنية للعلوم، وهم جميعاً من كبار الأكاديميين وأغلبهم ينتسبون إلى الكليات النخبويّة،وقد أفضت الدراسة إلى أن الأغلبيّة لا تؤمن بوجود الله حيث كانت نسبتهم72.2 % ،بينما تبين أن20.8 %هم من اللاأدريّين، وفقط نسبة7 %يؤمنون بوجود الله .كذلك ذكرت "دي كروز" دراسة أخرى قام أصحابها بتحليل الإجابات التي تلقّوها من علماء يعملون في مجال العلوم الاجتماعية والطبيعية من21جامعة نخبوية في الولايات المتّحدة ،وقد أفضت الدراسة إلى أن 31.2 %من العلماء وصفوا أنفسهم على أنّهم مُلحدون، بينما وصف31 % أنفسَهم بأنّهم لاأدريّون ، و أجاب 7 %بأنهم يؤمنون بوجود قوة عليا،و تبين أن 5.4 %

[17]–جولدشتاين،توماس ، المقدمات التاريخية للعلم الحديث ،ص253

[18]–تريغ ، روجر ،هل يحتاج العلم إلى دين ، ص180

يؤمنون أحياناً بوجود الله،و 15.5 %يعتقدون بوجود الله ولكن مع شكوك،أما الذين يؤمنون بوجود الله من دون شك فشكلوا نسبة9.7%.[19]هذا يبين حسب "دي كروز" تلك الهوة الشاسعة بين الدين وبين المجتمع العلمي .

4- انتقاد إبعاد الدين عن العلم في النظام المعرفي الغربي الحديث:

إن الفصام الذي تكرس بين العلم و الدين في الحضارة الغربية كان نتيجة ظروف و سياقات معينة ، و ما اقترفه الأوربيون هو أن ردت فعلهم إزاء ممارسات الكنيسة في العصور الوسطى عمموها لتصبح ردة فعل إزاء الدين ككل أينما كان ،و حولوا العداء بين لاهوتيي العصور الوسطى و العلم إلى عداء بين الدين و العلم ،و كأن الدين في أي حضارة هو من المعوقات الرئيسية للعلم ، لقد انتقدت المستشرقة الألمانية سغريد هونكه المرتكزات التي قامت عليها النهضة العلمية الأوربية ،و رأت أنها كرست الطلاق بين العلم و الدين و جردت المعارف من أي محتوى ديني ،حيث تقول «تلك هي عواقب عصر التنوير و التوعية التي جلبها هذا اللون من أسلوب الفكر الازدواجي الذي تولدت جذوره من مصادر مسيحية و إغريقية و كارتيزية انتزعت سمات الألوهية بكل أبعادها عن العالم المادي الذي سادت فيه مظاهر الكفر و الإلحاد ،بل و اقتلاع القيم الدينية من جذورها ،الأمر الذي انتهى باقتلاع كل القيم التي تساعد على إدراك الكون الإلهي الذي لم يتبق منه سوى تأملات ضحلة و سطحية مشوبة بالاستعجال و الخوف و الخواء و التمسك بعقلانية مادية انتهت إلى سيادة الفلسفة العدمية... لقد ولد التعميم المطلق للمادة القناعة للمعرفة المطلقة بهذا الكون حتى آخر حدودها ،الأمر الذي أوصلها إلى إغفال و إبعاد الإلوهية و إسقاطها من عرشها في هذا الكون .»[20]

لطالما شكك الغرب في أي دور ايجابي يمكن أن يقوم به الدين إزاء العلم ،وسحب اعتقاده هذا على الدين بصفة عامة مسيحي أو غير مسيحي ، لقد ترسخت عند الغرب نظرة معينة للنهضة العلمية عند المسلمين في القرون الوسطى حيث يصفون الحضارة الإسلامية بأنها دينية و أن الدين يتدخل في جميع مناحي الحياة مثلما كانت تقوم الكنيسة عندهم ،و قد قاموا بإسقاط ما كان عندهم من تضييق الخناق على الاجتهاد المعرفي على الاجتهاد في الحضارة الإسلامية ،وتجاهلوا أن العامل الديني عند المسلمين لعب دورا فاعلا في النهضة العلمية ، فالقرآن الكريم مليء بالآيات التي تحث على طلب العلم و إعمال العقل والنظر في الكون ، كما أنه لا في القرآن ولا في السنة النبوية يفرضان طريقة نظر معينة أو فهم معين لظاهرة طبيعية ، أو فيهما تقديس لظاهرة أو فكرة حول الطبيعة، فلم يكن للمسلمين مشكلة في قولهم أن الشمس مركز الكون أو الأرض ولم يكن هناك رجال دين يفرضون فهما معينا للطبيعة ،لقد أشارت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه إلى الاختلاف الجذري بين الاجتهاد العلمي عند

[19]-دي كروز ،هيلين ،تاريخ العلاقة بين العلم و الدين ، مجلة الاستغراب،المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية ،بيروت،العدد 13، ،2018،ص216

[20]-زيغريد هونكه،العقيدة و العلم :وحدة الدين الأوروبي و علم الطبيعة ،ص310

المسلمين وما كانت تقوم به الكنيسة في العصور الوسطى ،حيث قالت:«التسامح الفائق والسخي تجاه الآخر حتى في الأمور الدينية ،والتسامح في تلقي العلم و طلبه سواء من المؤمنين أو من غيرهم حتى و لو جاء من الصين ،القدرة الفائقة لنبي المسلمين في سماحته نحو اكتساب المعارف الدنيوية النافعة جنبا إلى جنب مع المعارف التي ينزل بها الوحي الإلهي ،بل إصراره وتشديده على طلبها...و هو بذلك لا يضع المؤمنين في سجن عقائدي لا يسمح بدخول نسائم الهواء إليه ،بل يفتح كل مكان لتلقي العلم و العمل على تنقيته من الشوائب ...الأمر الذي لم تستطع أن تفعله الكنيسة المسيحية »[21].

انتقد رجاء غارودي النهضة الأوربية عند استبعادها الجانب القيمي والديني ،و رأى أن عصر النهضة حمل معه قيم اتبعتها الحضارة الغربية في نموها وتقدمها منذ القرن السادس عشر،و قد أوصلتها هذه القيم إلى أزمة داخلية عميقة،و أصبح العقل الغربي يعاني من اختلالات حيث رجح الجانب المادي وفقد الإنسان جوهره المعنوي والأخلاقي، و رجح كذلك جانب العقل بحيث اعتبر قادراً على حل جميع المشكلات، بحيث لا توجد مشكلات حقيقية إلا تلك التي يستطيع العلم حلها وفي هذا استبعاد لكل جانب روحي أو ديني في حل مشكلات الإنسان ،و قد خلص غارودي إلى أن الحضارة الغربية التي تعاني من هذه الاختلالات هي حضارة مؤهلة للانتحار.من جهته انتقد المفكر الماليزي محمد نقيب العطاس النظام المعرفي الغربي وكيف غيب الغرب الجانب الديني من رؤيته المعرفية،حيث رأى أن روح البحث العلمي في ثقافة الغرب قد نشأت مترادفة مع خيبة أمل في الدين ، يقول العطاس:«إن هذه الحضارة تقيم نظرتها للواقع و الحقيقة ليس على أساس من معارف الوحي والإيمان الديني ،و إنما على أساس تقاليد ثقافية تسندها مقدمات فلسفية صارمة مبنية على تصور للحياة الدنيا محوره الإنسان بوصفه كيانا ماديا وحيوانيا ناطقا.وهي بذلك تعتمد اعتمادا كبيرا على القدرات العقلية للإنسان للكشف عن أسرار محيطه ووجوده»[22]،لقد استبعد النظام المعرفي الغربي أي شيء خارج العالم المادي ، فالإنسان يتم تأليهه *(deified)* و الإله تتم أنسنته *(humanized)*و يغدو العالم هو الشاغل الوحيد للإنسان و يصبح الإطار الذي تفهم فيه مفاهيم التغيير و التقدم هو دائما إطار دنيوي يقدم باطراد رؤية مادية للوجود.[23]

رأى إسماعيل راجي الفاروقي أن الخلفية الفكرية الغربية تقوم على الاعتقاد بأن الغيب لا يمكن أن يكون مصدرا للمعرفة وأن العلم هو ما يتعلق فقط بالحقائق الموضوعية التي ترصدها الحواس،وقد أنتج هذا معارف خالية من أي موجهات أخلاقية أو قيمية وغايتها القصوى هي إشباع الحاجات المادية للإنسان،لقد رأى الفاروقي ان الغرب غالى في رعاية الذات الانسانية لدرجة تأليهها و جعل اشباع رغباتها هو معيار الخير و الشر ، وبالرغم من ان هناك وجه ايجابي يتمثل في ازدهار العلوم الطبيعية وابتكار التقنيات

[21]- المرجع نفسه ،ص151-152

[22]- العطاس،سيد محمد نقيب ،مداخلات فلسفية في الإسلام و العلمانية ،ترجمة :محمد طاهر الميساوي ، دار الفجر – ماليزيا ،دار النفائس- الأردن،ط01، 2000،ص156

[23]- المرجع نفسه ،ص 158

لخدمة الانسان الا أن تأليه الرغبات ادى الى استغلال الطبيعة دون وازع اخلاقي أو معيار قيمي[24]،انتقد الفاروقي مشكلة التحيز وقلة الموضوعية في الرؤية الغربية فحينما يتكلم الباحث الغربي عن الدين و يتخذ موقفا إزاءه هو في الحقيقة يتكلم عن المسيحية ويعمد إلى تعميم ردة فعله إزاءها كردة فعل اتجاه الدين ككل أينما كان وكأن العداء للعلم متأصل في كل دين ، إن إعادة الاعتبار للجانب الديني في المعرفة بإمكانه أن يتجنب الانزلاقات التي وقع فيها العلم الغربي من إنكار لوجود الله ومن نهب للطبيعة و إعلان السيطرة عليها .كذلك انتقد طه جابر العلواني النظام المعرفي الغربي كونه نظام يستبعد كل ما له صلة بالغيب و يكرس الرؤية الوضعية المادية ،حيث وصفه بأنه «نظام وضعي يتجاهل الغيب تماما،قد ينكرونه و قد يتجاهلونه فقط،و هذا هو النظام المعرفي العلماني أو الوضعي ،و هو جانبان: جانب ملحد ينفي الغيب ،و جانب لا ينفيه و لكن يقول لا يهمني أن يكون هناك غيب،فأنا أتعامل مع واقع و أشياء موجودة فقط»[25] ،لقد أشار العلواني إلى استبداد التأويل الوضعي المادي بأسس العلوم الطبيعية ،و قد أدي هذا إلى نشوء رؤية كلية تقصي الوحي من أن يكون مصدر للمعرفة ،أن الفشل الذي لحق بالكنيسة وأطروحاتها دفع المفكرين و الفلاسفة الأوروبيين للبحث عن تأسيس جديد لعلومهم ،و قد ركزت الفلسفات العقلانية و التجريبية على أهمية العقل أو التجربة كمصادر للمعرفة ، و استبعدت أي دور للدين أو الوحي في تكوين المعرفة .

5- نماذج تعبر عن التكامل بين العلم والدين:

منذ عقود بدأ بعض المفكرين المسلمين يتداولون مصطلح أسلمة المعرفة و يشير هذا المصطلح إلى مشروع يرمي أصحابه من خلاله إلى إعادة تأسيس نموذج معرفي يأخذ بعين الاعتبار الجانب الديني و القيمي في مقابل النموذج المعرفي الغربي الذي أهمل هذه الجوانب،يدعوا أصحاب مشروع أسلمة المعرفة إلى ضرورة تحرير المعرفة من الرؤية الغربية وإعادة تأسيسها بشكل متوازن ،يعتبر إسماعيل الفاروقي إلى جانب نقيب العطاس من رواد هذا المشروع و قد تبنى المشروع الكثير من المفكرين وأجمعوا على أن النموذج المعرفي الإسلامي بإمكانه أن يتجنب الانزلاقات التي وقع فيها العلم الغربي من إنكار لوجود الله وصراع مع الطبيعة ، ذلك أنه يتأسس من القيم و الأخلاق المستمدة من الوحي ، ونظرا لأخلاقيته فهو يرتبط بالجماعة والأمة ، كما أن الاجتهادات و المعارف تنظم نفسها تحت مبدأ التوحيد، فالله هو مسبب الأسباب و المعرفة تعد معرفة لإرادته وحكمته وتدبيره،كما أن العلم هو ما يتعلق فقط بالحقائق الموضوعية التي ترصدها الحواس،و لا بد له من موجهات أخلاقية وقيمية .إن الرؤية الابستمولوجية البديلة التي

[24]–مجموعة من المؤلفين ،إسماعيل الفاروقي و إسهاماته في الإصلاح الفكري الإسلامي المعاصر ،دار الفتح للدراسات و النشر ،فرع المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،الأردن ،2014، ص202

[25]–العلواني،طه جابر ،مقدمة في إسلامية المعرفة ،دار الهادي للطباعة و النشر ،بيروت،ط1،2001،ص49

يعرضها الفاروقي «تقر بوجود تلازم بين الدين و العلم و الفلسفة .رؤية تتجاوز نزاع العلم مع الدين ،لأن العلم وحده من دون الدين جعل الناس العاديين يرون أن العلم يتهددهم و يحط من مكانتهم فقد جعلهم غرباء عن الكون الذي يعيشون فيه بينما العلم الصحيح هو الذي يزيل غربة الإنسان عن الطبيعة ويجعله انسيا لها متوافقا معها .»[26]

من الأمثلة التي تبرز التوافق و الانسجام بين العلم و الدين ما نجده في بحوث الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ، وقد تبين من خلالها ذلك التطابق العجيب بين نتائج الكثير من نظريات العلم المعاصر وما ورد في القرآن الكريم ، لقد أشار القرآن إلى مسائل معاصرة لا توجد إمكانية لإدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ،ولم يتمكن الإنسان من استيعاب هذه الآيات إلا بعد أن تطور العلم و بلغ مبلغا مكنه من كشف ذالك التطابق بين الكتاب المنظور والكتاب المسطور . هذا يبين أن غايات و مآلات العلم و الدين مشتركة و هي إدراك عظمة من دبر وصمم هذا الوجود .كذلك نجد أن الكثير من العلماء الذين تعمقوا في مجالات تخصصاتهم و اكتشفوا أسرارا في الطبيعة زادت قناعاتهم الإيمانية ،وأدركوا تلك الصلة القوية بين العلم و الدين،فعلى سبيل المثال نجد عالم الفيزياء الألماني "ماكس بلانك" يتحدث مدافعا عن الانسجام بين العالم والدين حيث يقول:« أينما ننظر ندرك أنه لا يوجد تناقض بين الدين وعلم الطبيعة ،بل يوجد توافق تام بينهما ،فالدين وعلم الطبيعة لا ينفصلان عن بعضهما كما يعتقد البعض في أيامنا هذه ،لأنهما نوعان يكمل بعضهما البعض ،إلا أن الإنسان بطبعه قد أثار نوعا من التناقض بين الدين وعلم الطبيعة حينما وجه سهام اتهامه إلى علم الطبيعة كعلم ينحو لا عدم الاعتقاد بالله.»[27]كذلك نجد عالم الفيزياء الذرية "كومبتون" يؤكد على انسجام العلم و الدين حيث يقول :«إن العلم أصبح حليفا وناصرا للدين ،لأنه من المستحيل أن يدخل معه في صراع ،ومن خلال الفهم الجيدة للطبيعة نتعرف على الله خالق هذا الكون.»[28]، نذكر كذلك عالم الجينات "فرانسيز كولينز" الذي كان سابقاً قائدا لمشروع الجينوم البشري، و الذي دافع عن فكرة الانسجام بين العلم والدين وقد ألف كتاب بعنوان "لغة الله" عام 2006 ، وأنشأ مؤسّسة سماها BioLogos ترمي للتأكيد على التوافق والانسجام بين العلم والدين.

لقد رأى روجر تريغ أن رواد العلم الحديث لم يؤسسوا نظرياتهم على قاعدة استبعاد الدين و الغيب ،ورغم الصراع المرير الذي كان بين رجال اللاهوت و رجال العلم في القرون الوسطى وما نتج عنه في عصر التنوير من ردة فعل استبعدت أي تدخل للدين و التي لا تزال تلقي بظلالها إلى اليوم إلا أن الكثير من علماء النهضة الأوروبية انطلقوا من خلفيات دينية ولم يكن لهذا تأثير سلبي على أبحاثهم و مكتشفاتهم ، يقول روجر تريغ : «على خلاف المفكرين في القرن التالي، فإن الأفراد الذين مهّدوا الطريق للعلم

[26]–بوالشعير، عبد العزيز ،النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي و الغربي،ص393

[27]– زيغريد هونكه،العقيدة و العلم :وحدة الدين الأوروبي و علم الطبيعة،ص305-306

[28]–المرجع نفسه،ص307

الحديث كانوا يحترمون العقل ويعتقدون بأنّ أهميته تكمن في صلته بعقل الخالق .قد لا يستطيع المنطق الإجابة عن جميع الأسئلة ولكنّنا نستطيعُ الاعتماد عليه إلى حد ما لأنه قدرة موهوبة من الله .يناقض هذا الرأي قطعا أي إنكار لقوةِ العقل في مرحلة ما بعد الحداثة، ويعارض أيضا النظرة التي ظهرت في أواخر عصر التنوير والتي تفيد لزوم ربط العقل بالتجربة على نحو يستبعد الغيب»[29].لقد رأى "تريغ" أن العلماء في بدايات العلم الحديث كانوا يعتقدون بوجود منطق كامن في الكون المادي، لأنّ هذا الكون قد انبثق من مصدر المنطق برمته، إن ذلك المنطق متغلغل في الكون متمثلا في القوانين الطبيعية ، ونحن كعقول ساعية لفهم هذا الوجود وُهبنا قسماً من ذلك المنطق، حيث يُمكننا من فهم طريقة عمل الكون ولو بمقدار ضئيل، في القرن السابع عشر في عصر نيوتن وبويل كان علماء يرجعون وجود النظام في الطبيعة وصيرورة ظواهرها إلى العقل الإلهي، فالعالم المادي الذي ندرسه خلق من قبل عقل الهي وهو يسري وفق إرادة الله على نحوٍ متوقع ومنتظم ، والله هو مصدر وأساس كل أمر عقلي ، والنظام والعقل الكامن في الأشياء والذي يعكس عقل الخالق يجعل من التأمل والاستكشاف العقلي أمرا ممكنا ،و الإنسان يمتلك القدرة على الاستدلال العقلي بسبب وجود بنية منطقية في العالَم.[30]

في العلم المعاصر هناك بعض النظريات العلمية نشأت وفق اعتبارات دينية كنظريّة الانفجار الكبير التي اقترحها لأول مرّة الراهب البلجيكي جورج لوميتر سنة 1927 ، و قد كانت فكرته متوافقة مع عقيدة خلق الكون من العدم، و قد باركت الكنيسة وقتها فكرة "لوميتر" وقامت بتشجيعها، اعتقد لوميتر أنه عند بداية الكون كانت المادة مجتمعة في نقطة واحدة سماها لوميتر "الذرة الأولية "أو " النواة الأولى " و في هذه الذرة الأولية كانت المادة الكونية عبارة عن سائل نووي كثيف وكان ذو حرارة خيالية ، ونتيجة للتحول الحراري لهذه الذرة الأولية أصبح السائل ميكانيكيا غير ثابت مما أدى إلى تحطيم خطوط التماسك و بدأت النواة الأولى بالتحطم و الانفجار لتتوسع و ينتج عنها كوننا.[31]كذلك اعتمد العلماء في علم الكونيات على ما يسمى بالمبدأ البشري أو المبدأ الانثروبي في تفسيراتهم الكوسمولوجية ،حيث اكتشف العلماء أن العديد من الخصائص الفيزيائية صممت لظهور الحياة ، فالمبدأ الانثروبي يمكن تعريفه بأنه السهم الذي يجب ألا تخرج عنه أي قيمة فيزيائية أو أي قانون من قوانين هذا الكون والذي مؤداه توفير شروط مناسبة للحياة ،إن المبدأ الانثروبي يشير بشكل أو بآخر أن وراء الكون إرادة وتصميما يهدف لظهور الحياة واستمرارها، يرى العلماء أن هذا المبدأ بإمكانه أن يساعدنا في فهم تطور الكون ، حيث أن كل ظاهرة مفترضة تؤثر على ظهور الظروف المناسبة للحياة تكون محل مراجعة، أكثر من هذا تبين أن المبدأ الانثروبي يفيدنا بالتنبؤ: لقد مكن من التنبؤ بالمستويات

[29]–تريغ ،روجر ، هل يحتاج العلم إلى دين ،ص 184-185

[30]–المرجع نفسه،183-184

[31]– Gamow ,George, la Création de l’ univers, Trad. Geneviers gueron ,New York : the Viking press, 1956.p34

الطاقية التي تحدث في باطن النجوم والتي تنتج عنها نسب بعض العناصر مثل الأكسجين والكربون ،لقد كان التنبؤ مؤسسا على فكرة أنثروبية حيث أنه يجب أن تكون نسب الكربون والأكسجين تسمح بظهور الحياة[32].

كذلك اعتمد اينشتاين على تبريرات دينية في موقفه إزاء نظرية الكوانتم ،حيث دار جدال كبير بينه و بين نيلز بور حول الصدفة في العالم الذري ، لقد كان بور يعتقد أن الظواهر الذرية عشوائية بطبيعتها ولا يمكن أن نكتشف فيها نظاما مهما تطورت التقنية ،بينما ظل اينشتاين يؤمن أن الكون بكل مستوياته يخفي تنظيما محكما ،وقد كان يرى في الصدفة نقصا لا يمكن أن يكتنف الطبيعة و لا العلم ،وقد صرح في إحدى محاضراته قائلا :« لا يصدق بعض علماء الفيزياء و أنا واحد منهم أننا يجب أن نتخلى فعلا و إلى الأبد عن فكرة التمثيل المباشر للحقيقة الفيزيائية في الزمن و المكان أو أننا يجب أن نقبل الرأي القائل بأن الحوادث في الطبيعة تشبه لعبة الحظ»[33]،لقد وقف اينشتاين وأنصاره ضد التصور الذي يعتبر أن العشوائية هي ظاهرة صميمية العالم الذري، وقد استند إلى اعتقادات دينية لبناء قناعته هذه حيث قال ذات مرة : « إن الإله لا يلعب النرد»[34]كإشارة إلى أن الكون مخلوق وفق نظام ونواميس و لا مجال فيه للصدفة .

يتضح مما سبق أن الفصل الذي يضعه النظام المعرفي الغربي بين العلم والدين جاء نتيجة لسياقات تاريخية معينة مرت بها أوروبا في العصور الوسطى ،وما شهدته أوروبا في العصور الوسطى لم يكن صداما بين العلم والدين وإنما بين رجال اللاهوت و العلم ،فمن كانوا يمثلون الدين و يحتكرون تفسير الكتاب المقدس ويفرضون فهما خاصا له و يضيفون إليه و يحذفون منه ما يشاءون هم الذين ضيقوا الخناق على الاجتهاد العلمي و لم يتركوا له متنفسا ،فحسبهم لا يمكن أن يتفوق العلم الطبيعي على علم اللاهوت لأنه أدنى درجة منه ،اللبس الآخر الذي وقع فيه الغرب هو أنه عمدوا إلى تعميم ردة فعلهم السلبية إزاء الدين ليجعلوا منها صراعا بين الدين أينما كان والعلم ،وكأن تعاليم الديانات الأخرى فيها عداء للعلم ونتيجة لهذا كرس النظام المعرفي الغربي الفصل بين الدين والعلم ،إن حقائق التحليل النفسي والعقلي تدلنا على أنه لا يمكن أن يقوم صراع بين الدين والعلم؛ لأن هذا مستحيل فطرة وإجماعا، لذا فهذا الطلاق الذي يكرسه الغرب بين العلم والدين يجب تجاوزه لأنه لا يستند إلى مبررات موضوعية وجاء نتيجة لتجربة خاصة مرت بها أوروبا في العصور الوسطى ،بالمقابل يمكن تصور نظام معرفي يقوم على علاقة تكامل بين العلم والدين ،فالعلاقة بين العلم والدين هي علاقة تكامل وليس تعارض ، فالمعرفة الدينية مكملة للمعرفة العلمية وكذلك مرشدة لها من حيث الجانب القيمي ،كذلك يمكن القول أن العلم يحاول فهم الوجود على أساس مبدأ السببية، أما الدين فهو يفهم الوجود على

[32]– Feynman, Richard ,the Character of Physical Law, the M.I.T press, London, 1985.p123-125

[33]– اينشتاين ،ألبرت ،أفكار و آراء، ترجمة رمسيس شحاتة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر ،1986،ص109

[34] – Alastair, Rae, Quantum Physics: Illusion or Reality? Cambridge University Press,Unated Kingdom,2002,p28

أساس مبدأ الغائية، وهذان المبدآن أي مبدأ السببية ومبدأ الغائية هما مبدآن مكملان لبعضها و ليس متعارضان ، وعلى الرغم من اختلاف مناهج كل من العلم و الدين إلا أن لهما غاية مشتركة هي الاقتراب من فهم حقيقة هذا الوجود ،ولعل الكثير من العلماء الكبار بدءوا من جزئيات العلم وأدركوا بعد طول بحث دقة التصميم الموجود في الكون وعظمة مصممه .إن المتأمل في هذا الوجود و للتنظيم البديع الموجود فيه ، ما يلبث أن يدرك أن عقولنا تبقى محدودة أمام هذه العظمة و هذا التقدير ،إن سنن الخالق في كونه لا تشذ عنها ورقة تسقط في ظلمات الأرض ولا حتى ذرة و ما دونها ،إن الخالق الذي أوجد هذا الكون ووهبنا عقول لنفكر بها في خلقه ،ثم دعانا للنظر في هذا الكون،لا بد و أنه وفر لنا سبل فهم هذا الوجود، فكل تفصيل في هذا الوجود وجد معه سبيل لفهمه، ومع كل مرة نكتشف فيها سر من أسرار هذا الوجود ندرك ذلك الانسجام بين العلم و الدين .

قائمة المصادر و المراجع:

- اينشتاين ،ألبرت ،أفكار و آراء، ترجمة رمسيس شحاتة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر ،1986.
-بوالشعير، عبد العزيز ،النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي و الغربي ،منتدى المعارف،بيروت،ط1،2014.
- جريبين، جون ، تاريخ العلم ،ترجمة :جلال شوقي ،سلسلة عالم المعرفة ،الكويت ،ج 1 ،2012.
- جولدشتاين،توماس ، المقدمات التاريخية للعلم الحديث ،ترجمة :أحمد حسان عبد الواحد ،الهيئة المصرية للكتاب ،مصر ،2004.
- حسين علي،الأسس الميتافيزيقية للعلم ،دار أنباء للطباعة و النشر ،القاهرة ،2003.
-ديسكونن وايت،أندرو ،بين الدين و العلم ،تاريخ الصرع بينهما في العصور الوسطى ،ترجمة :إسماعيل مظهر ،مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، مصر، 2012.
- سعيدان ،محمود ،تاريخ أوربا في العصور الوسطى،دار النهضة العربية ،بيروت لبنان،ط1،2006.
- العطاس،سيد محمد نقيب ،مداخلات فلسفية في الإسلام و العلمانية ،ترجمة :محمد طاهر الميساوي ، دار الفجر – ماليزيا ،دار النفائس– الأردن،ط01، 2000.
- العلواني،طه جابر ،مقدمة في إسلامية المعرفة ،دار الهادي للطباعة و النشر ،بيروت،ط1،2001.
- فرانك، فليب ، فلسفة العلم، ترجمة: علي ناصف ،بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 1983.
-مجموعة من المؤلفين ، العلم و الدين :تكامل في الأصل تمايز في الحضور، مجلة الاستغراب،العدد 13،المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، بيروت،2018.
-مجموعة من المؤلفين ،إسماعيل الفاروقي و إسهاماته في الإصلاح الفكري الإسلامي المعاصر ،دار الفتح للدراسات و النشر ،فرع المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،الأردن ،2014.

– مجموعة من المؤلفين ،نحو نظام معرفي إسلامي ، تحرير:فتحي حسن ملكاوي ،حلقة دراسية بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي،فرع الأردن، الأردن، 2000.

– ميموني، جمال ، قسوم نضال ، قصة الكون الجزائر ،دار المعرفة ،1998.

–مينوا ،جورج ،الكنيسة و العلم : تاريخ الصراع بين العقل الديني و العقل العلمي ،ترجمة موريس جلال،الأهالي للطباعة و النشر، دمشق، ط1، 2005.

– هونكه،زيغريد ،العقيدة و العلم :وحدة الدين الأوروبي و علم الطبيعة ،ترجمة:محمد أبو حطب خالد ،المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2007.

– يوسفي، محمد،سوسيولوجيا العلم والتكنولوجيا، دار وائل للنشر، عمان ،الأردن،ط1،2000.

– Alastair, Rae, Quantum Physics: Illusion or Reality? Cambridge University Press,Unated Kingdom,2002.
– Feynman, Richard ,theCharacter of Physical Law, the M.I.T press, London, 1985.
– Gamow ,George, la Création de l’ univers, Trad. Geneviers gueron ,New York : the Viking press, 1956.